مستقبل شاب

عمر نبيل حسن

ها أنا أبدأ في سرد حكايتي وأبدأها بالتعارف أنا أدعي عادل ، شاب عادي كباقي الشباب، لي حلم أسعى لتحقيقه في يوم من الأيام .

استيقظت في يوم من الأيام وأنا أضع وسادتي بين قدمي كعادتي وأرتدي ملابس النوم التي اعتدت علي ارتدائها، فقمت من على سريري ولكن هذه المرة لم أقم بالأمور التي أفعلها عادة كغسل الوجه وما إلي ذلك ولكني رحت أفكر في حياتي وأنا ابن ثلاث وعشرون سنة وما زلت في بداية مسيرة حياتي التي لا أعرف معالمها، ورحت أفكر وأنا أنظر من نافذتي التي اعتدت أن أقف فيها عادة ولكن هذه المرة لاحظت عصفورين على الشجرة القريبة من منزلنا ولهما علي هذه الشجرة عش صغير جميل بين أغصانها ولاحظت أنه قديم .

فتساءلت لماذا لم ألاحظه من قبل ؟ هل لأني لم أكن أفكر في الأشياء التي من حولي وبالأخص حياتي التي أعيشها الآن أم لأني بكل بساطة لم ألاحظه قبل ذلك أم أن هذا قدر أن ألاحظ هذين العصفورين مع بداية تفكيري في حياتي ومستقبلي؟ حينها قررت متابعة العصفورين وأري ما يفعلانه ومع متابعتهما بدأت ألاحظ أنهما يتحدثان مع بعضهما في أمر ما وخيل إلي أني أفهم حديثهما .

فقد كانا زوج وزوجة وكانت الزوجة في غاية الجمال أما الزوج فكان أقل منها جمالا , لا أدري كيف لاحظت ذلك ولكني شعرت بذلك عندما

رأيتهما، ولاحظت أيضا على ملامح الزوجة مع جمالها الأسي والحزن، فتساءلت لماذا كل ذلك الأسي والحزن؟ هل لأنهما ليس لديهما أبناء أم لأن زوجها يخونها أم أنه شيء عابر؟، وأنا ما زلت أقف أتابع العصفورين يتحدثان مرتديًا ملابس النوم الاعتيادية فكرت أن أظل واقفًا أتابع هذين العصفورين لبعض الوقت .

وفي لحظة تفكيري بذلك سمعت صوتًا اعتدت سماعه وهو صوت أمي وهي تقول:

- استيقظ يا عادل الإفطار جاهز.

وأثناء انشغالي بأمي وصوتها المعتاد، أعدت ناظري إلي الشجرة فلم أرَ العصفورين فتعجبت وقلت في نفسي إلي أين ذهبا ؟؟ هل خافا من صوت أمي وهي تنادي أم أني كنت أتخيل؟.. ولكن لاحظت وجود العش فقلت لا إن هذا حقيقي , فرددت على أمي قائلا

- ها أنا قادم.

هممت أن أذهب إلا أنني لاحظت رجوع العصفورين ولكن هذه المرة الزوج بدا على ملامحه الحزن الشديد، فصرت في حيرة من أمري وتساءلت ما الأمر المحزن الذي يشغل بال هذين العصفورين المسكينين .

وبالرجوع إلي حياتي التي بدأت متأخرًا في التفكير فيها بطريقة جدية عوضًا عن اللعب والمزاح والضحك ولا شيء غيره , ففكرت هل ستكون حياتي مليئة بالأسى والحزن مثل هذين العصفورين ؟ وأنا الذي أعيش حياتي بكل بساطة وفرح، فزاد ذلك من تفكيري في مستقبلي، وتساءلت

هل أنا الذي أصنع فرحي أو أتسبب في حزني أم أن كل ذلك مقدر سيحدث لي مهما فعلت ؟.

وها هي أمي تقطع حبل أفكاري من جديد منادية:

- يا عادل

فقلت:

- نعم أنا قادم.

نظرت من نافذتي إلي العصفورين فإذا هما في العش هذه المرة، إذن فلم يختفيا كالمرة السابقة من صوت أمي فتساءلت ما الذي يحدث ؟

ذهبت مسرعًا لتناول الإفطار، فجلست بجانب أختي ذات العشر سنوات واسمها هناء و يا له من اسم فهي دائمًا ما تضحك , فرأيت فيها نفسي قبل تفكيري في حياتي ومستقبلي من لامبالاة وبساطة وفرح، وأثناء جلوسي لتناول الطعام نظرت أمي لأبي فقال لي أبي:

- ماذا بك يا عادل أراك منشغل البال لا تأكل كما تأكل عادة.

فقلت من دون تفكير:

- لأن هذه العادة تقتلني أفعل نفس الأمور كل يوم لا جديد يذكر.

فقالت أمي:

- يا بني هذه هي الحياة.

فقلت:

- أي حياة !! حياتي وأنا لا أعرف شيئًا عنها ولا عن مستقبلي؟ أليس باستطاعتنا تغير كل ذلك؟

فقال أبي وعلي وجهه نظرة غريبة لم أرها عليه من قبل:

- نعم باستطاعتنا ولكن ماذا نفعل؟

فقلت:

- ماذا نفعل؟!

حينها تجمد لساني ولم أعد أستطيع التفكير في شيء وودت أني لم أتكلم وتناولت طعامي كعادتي في كل يوم.. فقالت أمي:

- يا بني لا ترهق نفسك بالتفكير ولكن اجتهد في حياتك على قدر استطاعتك.

أنهيت طعامي وداعبت أختي هناء عند قيامي بيدي فضحكت وذهبت إلي غرفتي وإلي نافذتي .

وجدت العصفورين ولكن هذه المرة يبدو عليهما معًا الحزن الشديد والعبوس فحزنت لحزنهما وأردت معرفة السبب فخيل لي وسمعت الزوج يقول لزوجته في أسي

- هذه هي الحياة.

ماذا؟ أين سمعت هذه الجملة لقد سمعتها منذ دقائق؟ أجل من أمي!! ولكن ماذا يقصد الزوج؟ فأكمل كلامه مواسيًا زوجته :

- تعلمين أننا اجتهدنا على قدر استطاعتنا.

سمعت ذلك أيضًا من أمي !! ما الذي يحدث؟ أهي صدفة أم ماذا؟ أم أن هناك شيء ما يحدث لي؟! فقلت في نفسي هل أسألهما ماذا يحدث ؟ كلا ربما تركاني وذهبا وحينها لن أعلم شيئًا عن الأمر، ففكرت أن أظل واقفًا لألحظ ما الذي يحدث ربما استطعت أن أفهم حقيقة هذا الأمر .

فجأة جاء عصفور ضخم منظره قبيح ولاحظت أن العصفورين قد تغيرت ملامحهما إلي العبوس والحنق عند مجيئ هذا العصفور الآخر، فوقف أمامهما وقال:

- أمامكما يومين لتذهبا !!

فردت عليه الزوجة:

- ولكن هذا ظلم.

وقال الزوج:

- لن نترك حقنا.

فقال العصفور الضخم:

- أمامكما يومين وإلا تعرفون ما سيحدث.

ورحل بعدها العصفور الضخم، قلت في نفسي لماذا يفعل هذا العصفور ذلك ؟ إن هذا ليس من حقه !! فرجعت أفكر في حياتي وتساءلت هل من الممكن أن يأتي يوم من الأيام ويحدث لي مثل ما حدث مع العصفورين ويضيع حقي !! فازداد الشك عندي في ما يتعلق بمستقبلي

وصرت مرتابًا ممن حولي، ومر اليومان ولم أجد العصفورين !! ماذا هل استسلما بهذه البساطة أو ربما يخططان لشيء ما.. لا أدري .

انتظرت بعد ذلك أيامًا وليالٍ ولم يرجعا مطلقًا , فصرت حقًا متشائمًا حول كل شيء ولم أعد أطيق هذه الحياة التي أعيشها والتي لا أعلم مستقبلي فيها، ورجعت لنفسي لأسالها من جديد، هل هذا الموقف الذي حدث مع العصفورين هو الذي جعلني هكذا أم أن فكري ينضج طبيعيًا بحيث أفكر في الأمور المهمة التي يجب أن أفكر فيها وأترك ورائي حياة اللامبالاة المريحة المليئة بالمرح والضحك .

ماذا يجب علي أن أفعل حيال مستقبلي ؟؟ عندما طرحت علي نفسي هذا السؤال تجمد فكري كما تجمد لساني عندما قال لي أبي "أجل نستطيع تغيير الأمور ولكن ماذا نفعل؟" ، فأصبحت في حيرة من أمري حقا .

وبمرور الأيام نظرت من نافذتي فوجدت عصفورين آخرين يحدث لهما مثل ما حدث مع العصفورين السابقين حيث جاءهما العصفور الضخم القبيح وقال لهما مثل ما قال قبل ذلك أمامكما يومين لترحلا وإلا سيحدث لكما ما لا يحمد عقباه ولكن هذه المرة لم يظهر على ملامح العصفورين العبوس ولكن بدت عليهما الحنكة والدهاء فقالا له - أمرك لن تجدنا هنا بعد يومين .

فانتظرت مرور اليومين وأن يرحل العصفوران ولكنهما لم يرحلا، لا أدري كيف فعلا ذلك وليس مهمًا بالنسبة لي أن أعرف ولكن بدا لي أنهما تعاملا مع الموقف بحنكة وذكاء، فقلت لنفسي أجل هذا هو ما يجب علي فعله، التعامل مع كل الأمور بحنكة وذكاء مثل هذين العصفورين

بذلك لا أخاف على مستقبلي وحياتي، وبدا لي أيضًا أن لكل مشكلة حل وهذا مهم، ولكن ذلك يعتمد على المشكلة نفسها وعلي كيفية حلها، إذا لماذا أخاف على مستقبلي ما دمت عرفت ذلك؟